العرب
الإثنين 2020/02/24
السنة 42 العدد 11627

كائنات هجينة تفتك بالبشر في صراع لا ينتهي

فيلم «فضائيون لا يموتون» مزيج غير متجانس من الخيال العلمي والرعب

تبدو قصص الفضائيين في مواجهاتهم لمن هم على سطح الأرض، مثل لازمة تتكرّر في سينما الخيال العلمي، وتتعدد المعالجات السينمائية والأساليب في تقديمها إلى جمهور المشاهدين. ومن خلال عدد كبير من هذا النوع من الأفلام سوف تكون فكرة الصراع بين الطرفين هي الفكرة الجوهرية التي تتحرك وفقها الأحداث.

طاهر علوان
كاتب عراقي مقيم في لندن

تعوّدت سينما الخيال العلمي في المطلق على تقديم الفضائيين في صورة كائنات ذات إمكانيات فائقة وقدرة على المواجهة وخوض الصراع إلى نهايته، بينما الأرضيون هم في الغالب المدافعون الذين يحاولون النجاة بأنفسهم، وفي أحسن الحالات يحقّقون انتصارهم بعد صراع شاق.

وهذا التوصيف ينطبق على فيلم "فضائيون لا يموتون" للمخرج كريج كونورز، والذي يقدّم قصة تنطوي على صراع طويل ودام بين الفضائيين من جهة وبين باحثين في مشروع سري من جهة أخرى.

أحداث ليس فيها مواجهات تذكر في يوميات الباحثين المنشغلين بعملهم، لكن لم يقع في حسابهم أن كائنات هجينة تجمع بين الفامباير والكائنات الفضائية والبشر هي التي سوف تفتك بالجميع.

> المفاجآت غير المتوقعة ظلت تحتل هامشا محدودا في الفيلم، ممّا أفقد العمل جاذبيته

تبدو فكرة الصراع بين الطرفين في هذا الفيلم غير متوازنة بسبب الإمكانات المحدودة التي يمتلكها فريق الباحثين، وقبل ذلك فهم ليسوا محاربين ولا مستخدمين بارعين للأسلحة، لكنهم يجدون أنفسهم في وسط ذلك المأزق غير المتوقع. وفي وسط هذه الدوامة وبين بضعة أنفار لا يتجاوزون عدد اليدين، تنشب تلك المواجهة التي تقع أغلبها في دائرة المجهول، إذ لا تتضح دوافع تلك الكائنات ولا من أين خرجت، مع أن الشكوك تساور الجميع لكونها كائنات بشرية تم تهجينها بطريقة ما ومنحها قدرات متفوقة على البشر.

يقود ميشيل (الممثل بيرت كنيدي) زملاءه وهم في هذا المأزق محاولا أن يجد حلا ما، ولهذا يخوض الصراع إلى نهايته مستغلا نقاط ضعف أولئك الغزاة للإيقاع بأكبر عدد منهم.

وفي موازاة ذلك، تطهر في مشهد مميز فتاة غارقة في البياض وسط فضاء مفتوح، وهي لينا (الممثلة تونيا رينيه) لتنهض بالتدريج وتدخل من خلال نفق ضيق، فتجد نفسها وقد انضمت إلى فريق المشاركين في المشروع السري وهي تدافع عن نفسها وعن الآخرين. بضع شخصيات أخرى نسائية تنضمّ إلى لينا، لكنها وحدها كان عليها الخروج من تلك المواجهة الدامية.

ارتكز الفيلم على عناصر الحركة والعنف والرعب أيضا في خليط أراد من خلاله المخرج أن يقدّم فيلما فيه من عناصر الخيال العلمي والتشويق والإثارة، لكنه بدا خليطا غير متجانس. وفي محاولة غير مكتملة للوصول إلى هذا الهدف، تم التركيز على جمالية المشاهد باستخدام الضوء والحركة والغرافيك لإظهار المعارك الدامية ضد الكائنات الغازية.

تمضي دورة الصراع إلى نهايتها ويلجأ فريق الباحثين إلى حيل شتى للإيقاع بالغزاة، والعثور على نقاط ضعفهم والتخلص منهم تباعا. لكن الغرابة في هذه الأحداث تكمن في كون تلك المجموعة الغازية لا يبدو أنها قابلة للانتهاء، ولهذا تتكرّر مشاهد المواجهات والقتل والدماء بين الطرفين.

وحفل الفيلم أيضا باستخدام الإضاءة والخدع البصرية لتدعيم فكرة وجود تلك الكائنات المتوحشة وقد تغلغلت في الحياة اليومية وتأذية الناس.

في المقابل، نجد أن هناك ركودا في السرد والدراما الفيلمية، فعلى الرغم من وجود عنصر الصراع بين الفضائيين وبين الباحثين الغارقين في عملهم، إلا أن ذلك لم يكن كافيا لإقناعنا بأبعاد ذلك الصراع، وإلى أين وكيف سوف ينتهي؟

والملاحظ أن حتى الشخصيات المهمة، مثل ميشيل ولينا وغيرهما، قد صار أداؤها مكررا ونمطيا، على الرغم من أن جوهر فكرة الصراع في الفيلم تستوجب إظهار البطولات الفردية، إلا أن لينا تبقى أسيرة المشاهد الباردة والمواجهات الدامية.

وعلى هذا بقيت البطولات الفردية والمفاجآت غير المتوقعة تحتل هامشا محدودا في هذا الفيلم، ممّا جعل المُشاهد وكأنه يدور في دوامة من القتل والقتل المضاد، فضلا عن سلوك الفامباير الذي سوف يتكرّر في العديد من المشاهد وكأننا في واحد من أفلام الزومبي. وإلّا ما معنى تلك الملاحقات التي لا تنتهي، لاسيما وأن أسرارا غير معلومة ظلت تكتنف ظهور هذه الكائنات الزومبية بتلك الكثافة والقدرة الهائلة على الفتك بالخصوم.

ومن جهة البناء المكاني، فقد غلب على المشاهد الفيلمية التصوير في أماكن ضيقة ومحدودة، الأمر الذي لم يوفر للشخصيات فرصة لكي يتميز بعضها عن البعض الآخر، إذ كانوا يتساقطون تباعا مع فتك تلك الكائنات المتوحشة وبطشها.

واقعيا، هناك مزيج لافت للنظر يجمع ما بين سينما الخيال العلمي والرعب والعنف الذي سيطر على الشخصيات، حيث حاول المخرج من خلال ذلك أن يسد بعض الثغرات. لكن الأسلوب الذي اتبعه لم يكن كافيا لكي نشاهد فيلما من أفلام الخيال العلمي مكتمل العناصر والأركان، ولهذا كان البديل هو الحركة والرعب.

ومن جانب آخر، لاحظنا أن الشخصيات قدّمت نوعا من البطولة الجماعية، لم يبرز من بينها بطل قادر على إنهاء ذلك المأزق الذي وجدت الشخصيات نفسها في وسطه. ولكن من دون أن تجد حلا لكي تخرج منه.

دوامة من القتل والقتل المضاد

حوار في الجحيم بين مكيافيلي ومونتسكيو

"حوار في الجحيم"، هو في الأصل حوار عن السلطة بين علمين من أعلام الفكر الأوروبي هما مكيافيلي ومونتسكيو، تخيله كاتب ومحام فرنسي اسمه موريس جولي، وسجن بسببه في عهد نابليون الثالث. وقد تلقفه رجال المسرح مرات لإخراجه على الخشبة، آخرهم مارسيل بلووال في مسرح الجيب بمونبرناس الباريسية.

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

مسرحية "حوار في الجحيم"، التي عرضت مؤخرا على خشبة مسرح الجيب بباريس، مستوحاة من نص نقدي لاذع لسياسة الإمبراطور نابليون الثالث، صدر في بروكسل عام 1864 باسم مستعار. وما لبثت السلطات أن عرفت أن مؤلفه محام مغمور اسمه موريس جولي (1878–1829) فتمّ سجنه لبضعة أشهر، وصودر كتابه، وكاد يطويه النسيان لو لم يُطبع طبعة جديدة في الأعوام الأولى من الجمهورية الخامسة.

وقد حظيت الطبعة الجديدة باهتمام واسع في الأوساط الأكاديمية والمسرحية، حيث تمّ تحويل "الحوار" إلى عرض مسرحي مرة أولى عام 1968 في مسرح ميشودير في إخراج لبيير فريني، ثم عام 1983 في الأوديون الصغير، من إخراج سيمون إين، عقبها عرض في مسرح لوسرنير من إخراج بيير تابار.

ورد النص في شكل حوار متخيل بين الإيطالي مكيافيلي، مؤلف "الأمير"، والفرنسي مونتسكيو، واضع "روح القوانين"، وكلاهما عبّر فيه عن قناعاته، أي السلطة والسياسة والمثل الأعلى الديمقراطي من جهة مونتسكيو، والحيل التي يتوسل بها الحاكم الطاغية لبسط هيمنته من جهة مكيافيلي.

وقد عُدّ الكتاب عنيفا في عصره، من رجل ناصر فيكتور هوغو في نقده اللاذع للإمبراطور وسياسته المستبدة، واتخذ من هذين العلمين ذريعة لنقد ممارسته للسلطة، وسبل التمسك بها.

مثلما عُدّ الكتاب لاحقا من بين المجادلات التاريخية الهامة حول ثيمة الديمقراطية والاستبداد، بل إن ثمة من أسقطه على الراهن، ففي مقدّمة الطبعة التي صدرت عام 1968 ضمن سلسلة "حرية الفكر" التي كان يشرف عليها ريمون آرون، كتب المفكر جان فرانسوا روفيل، إن موريس جولي يتحدث عن ممارسة الجنرال ديغول للسلطة.

وقال أيضا إن المشكلة تتمثل في معرفة ما إذا كان الاستبداد بإمكانه أن يجد مكانه في مجتمع اعتاد منذ زمن قديم على المؤسسات الليبرالية. بينما رأى الناقد المسرحي المعروف وصاحب مسرح الجيب فيليب تيسّون أن النص لم يفقد راهنيته إلى اليوم، فهو يشير إلى ما تستعمله الحكومة من وسائل لتضليل الرأي العام، وتحويل أنظاره إلى مسائل غير التي تخصّ معيشه اليومي.

الديكور بسيط إذ يتبدى الركح أبيض، والأثاث شفافا، حيث تغطي الخلفية صورةُ مكتبة. هذا الحوار هو في الواقع أشبه بخطاب أحادي، يستحوذ فيه مكيافيلي على المساحة كلها، في نوع من السيلان اللفظي، يقطعه مونتسكيو في بعض الأحيان، فيبدو أقرب إلى مستمع أكثر من كونه محاورا.

ويبدو الحوار مانويا، بين رجل خبيث لا يحب الشعب. ولكنه يحسن الحجاج والاستدلال، ورجل إنساني النزعة لا يكاد يردّ إلا لماما. قد يجد بعضهم في هذا العرض ما يدفعهم إلى التفكير في خبايا الحكام والطرق التي يستعملونها للوصول إلى السلطة. ولكن الطرح لم يغادر السطح، ولم يحقّق دراميته المنشودة برغم حرفية الممثلَيْن بيير سانتيني وهرفي بريو، فليس من السهل دائما تحويل نص سياسي أو فكري إلى المسرح.

وهو ما تنبه له مارسيل بلووال منذ البداية، مثلما تنبه إلى أن العنوان نفسه مخادع، فهذا "الحوار" هو نص أدبي على طريقة برنارد دو فونتونيل (1757–1657) حيث الردود تقوم مقام وضع الأفكار السياسية أو الأدبية في مواجهة بعضها بعضا دون وجود حقيقي للشخصيات ودون أدنى تنظيم درامي. ثم إن النص مشحون بإحالات على حكومة تلك المرحلة، ما يجعل النص بعيدا عن فهم إنسان هذا العصر، وإن اقتيد بسببه موريس جولي إلى السجن، واكتفى بالتلميح إلى خصومه ولم يذكرهم بالاسم.

ورغم ذلك أقدم على إخراجه، لأن الكاتب في نظره عكس، دون وعي منه ربما، تعقيده الخاص، وهو تعقيد خفي يبثّه إلى بطليه مونتسكيو ومكيافيلي، ويضعهما وجها لوجه كخصمين.

> الحوار بدا مانويا، بين رجل خبيث لا يحب الشعب، ولكنه يحسن تقديم الحجج، ورجل إنساني النزعة لا يكاد يردّ

وإن كان تعارض الأفكار بين الرجلين من الوضوح ما لا يحتاج معه المرء إلى إمعان الفكر، في الظاهر، لأن مونتسكيو كما يقدّمه جولي ليس دائما على حق، ومكيافيلي يبهر الكاتب بشكل يكاد يرغّبه في المكيافيلية، إذ إن كتابته كانت حَفرا للوصول إلى ما خلف الخطاب الرسمي.

وبما أن عملَه تخييلٌ بناه على احتمال ظهور دكتاتورية يحركها مكيافيلي، ويخفي بفضلها نابليون الثالث، فقد انساق إلى تخيُّل خطط تُمكّن كلَّ الطغاة من المحافظة على سلطتهم وتعزيزها. هذا علاوة على فصول الكتاب التي تركز على تلاعب الدولة بالصحافة، وطرق تسيير الشعوب في مجتمع يمكن وصفه بمجتمع فرجة. أي أن الكاتب تنبأ بما سوف يعيشه مواطنوه من بعده، أي في الزمن الحاضر.

ومن ثَمّ سعى المخرج إلى تنظيم كل تلك العناصر في شكل درامي يراعي في الوقت نفسه تنامي الحكاية، وحقيقة الشخصيات، مع احترام النص الأصلي، ومحاولة إذكاء اهتمام المتفرجين بهذا العمل الذي حرّره مؤلف نكرة منذ أكثر من مئة وثمانين عاما.

حوار عن السلطة وآفاتها على الشعوب

عقدة فريدا كاهيلو

فاروق يوسف
كاتب عراقي

الفنانة المكسيكية الأكثر شهرة فريدا كاهيلو لا تزال تثير الاهتمام. هي ليست رسامة كبيرة بالتأكيد. غير أنها صارت كذلك بفعل الدعاية. وهو ما كانت تحلم به دائما في حياتها.

فنانة تحب نفسها أكثر ممّا تحب الرسم. جعلت من السياسة سلما للصعود. وهو ما نجحت فيه. خدعت مَن حولها من الرجال وكانت تميل إلى معاشرة النساء.

تزوجت الرسام دييغو ريفييرا، وهو أشهر رسامي الواقعية الاشتراكية في المكسيك الذي رسم جداريات ضخمة، وجعلته عبدا لها. وارتبطت بنبي الثورة الدائمة الروسي ليون تروتسكي كما لو أنه كان يحبها.

كان بابلو نيرودا زائرها السري. تلك المرأة التي ولدت معاقة وصارت كذلك، تنقلت بين عشاقها كما لو أنها كانت جميلة زمانها. لم تكن رمية حظ. كانت تجسيدا لمؤامرة. فهي ليست جميلة، غير أنها تحولت إلى رمز لجمال وحشي.

بين حين وآخر تقيم المتاحف معارض لفساتينها التي تفصح عن ذائقة غجرية. حتى قدمها البديلة حظيت بعروض خاصة. ما من فنانة وصلت إلى أقصى حدود الأسطورة مثلما حدث لكاهيلو.

في المكتبة الفنية هناك مئات الكتب التي كُتبت عن حياتها وعن تجربتها الفنية بما لا يتناسب مع مكانتها الحقيقية في تاريخ الفن.

هناك عشرات الفنانات لم يحظين بما حظيت به من اهتمام بالرغم من أن تجاربهنّ الفنية كانت أهم من تجربتها، كإيفا هيسه ولويزا بورجوا، مثلا.

كاهيلو تحوّلت إلى ظاهرة عاطفية بالرغم من اعتقادي أن جهات سياسية تقف وراء شهرتها. غير أن تلك الجهات كانت أذكى من أن تكشف عن دوافعها. كان هناك دائما همس يتعلق بالدور الذي لعبته في مقتل تروتسكي الذي نفّذه أحد أفراد شرطة ستالين السرية. غير أن ذلك الهمس ظل في حدود الشائعة.

المؤكد أن الرسامة وزوجها لم يكونا قادرين على خذلان سيد الكرملين في صراعه مع عدوه اللدود. شيئا فشيئا نسي العالم الدوافع السياسية واحتفظت كاهيلو بشهرتها، كما لو أنها رسامة حقيقية.

كاهيلو فنانة تحب نفسها أكثر مما تحب الرسم